لغة العرب

مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية

الجزء ٧ من السنة ٤ عن كانون الثاني سنة ١٩٢٧

البطائح الحالية

Les Batâih.

تعريف الناس بصاحب هذه المقالة وما إليها

الشيخ علي الشرقي من الرجال الناشئين في النجف وهو في العقد الرابع من عمره . وليس في دماغه شيء من الأفكار القديمة البالية او المتهرئة : انما هو خزانة حية حافلة بالعلم الحديث العصري ، وهذا ما يتجلى في شعره الذي هو مرآة نفسه الحساسة ، وفي ما تذيعه يراعته من المقالات الرسائل .

وهو ابرع رجل في العراق في معرفة دياره الحالية .

ولقد عرفه القراء منذ نشأة هذه المجلة ولو كان يذيل مقالاته باسم منتحل ونقل المستشرقون (من فرنسيين وايطاليين والمانيين وانكليز) عدة مقالات له ادرجت في هذه المجلة فترجموها الى لغاتهم ونشروها في مجلاتهم ، كما استشهدوا بها في كتبهم .

وقد عزم الشيخ على ان يتحف هذه المجلة بمقالات عديدة ، موضوعها الكلام عن مدن العراق الحالية ، وعن دثورها ، والانباء التي يأتينا بها هي نتيجة رحلاته في انحائه ، لان ليس في ديارنا من تجول فيها تجول الشيخ « عش غانه

يعرف عامرها وغامرها ، حديثها وقديمها ، ولهذا نشكره سلفا على ما يتحفنابه ونحن متأكدون ان كثيرين ينتفعون بهذه المقالات وتخص بالذكر المستشرقين على اختلاف قومياتهم ؛ لانهم يقدرون اعمال الرجال حق قدرها ، ويعلمون ان الذين يتتبعون هذه المباحث هم قليلون ، وجميعهم ممن جادت عليهم الطبيعة باحسن مواهبها .

قال الكاتب المتفنن حرسه الله :

البطائح

البطائح جمع بطيحة : بفتح الباء وكسر الطاء ، يقال تبطح الوادي : اذا استوسع وانبسط . فالبطيحة مسيل واسع ومجتمع مياه سائبة . والبطائح كثيرة ولكن المعروف منها والمنوه بها بطائح مابين واسط والبصرة والحويزة (وهذه من بلاد خوزستان) وبطائح العراق هي مجتمع سيب الفرات ودجلة ، من غير ان يكون من اختلاطهما عميق غائر : يوم كانت دجلة تستقيم من (المذار) وكانت بطائحها في سواد بغداد و (بطن جوخى) ولكن بعد ان تحولت وسالت بين يدي واسط كثر الاختلاط بينهما وتوسع فكان فيضا ماوا الى ماوراء واسط الى ظهر البصرة القديمة .

ولم يذكر مخططو العرب البطائح ذكرا تاما : اما اليوم فقد مات ذكر البطائح ، واطلق على البقية منها اسم (الاهوار) وهي جمع هور وزان ثور و (البرق) وزان زحل وواحدتها برقة وهي من لغة سواد العراق ويريدون بها البطيحة .

ولم تستقم البطائح على حال واحدة وانما كانت كما يشاء لها الاتفاق والحوادث فربما كانت كالبحر الجاج مما اندفع اليها من مياه الطاغين وربما هبط ارتفاع مياهها وغطتها نبات عيدان الاسل والقصب فشخصت العيون غابة كثيفة وقد يبلغ بها الجفاف والنشف الى ان تصير ارضا حمادا او تتحسر عن بقاع خضرا كالديم كانها الارياف تتخللها القنوان .

فيمكننا ان نضبط لها حالات ثلاثا لم يظهر انها تجاوزتها الى حالة اخرى بل ما زالت تتردد بين الثلاث . وهي : (البطائح) (البطائر) (الجوازر) . ولنبدأ بذكر البطائح لانها الحال الاول ، فنذكر موقعها ثم السبب المكون لها فاستحالها فماضيها فحاضرها .

موقع البطائح

كلما تحول مجرى دجلة تحول موقع البطائح كل التحول. اجل جرت دجلة بين يدي (المذار) وهو بلد دارس لم يبق منه اليوم غير مشهد عبدالله بن علي وموقعه شرقي دجلة ووراء البلد المعروف بقلعة صالح . فكونت بطائح ثم تحول عمودها الى (واسط) فاحدثت بطائح ثم امتد نابها بين واسط والمذار وهو عمودها اليوم فجدت بطائح . والاثر المهم في تكوين البطائح دجلة البصرة وهي دجلة العوراء لان غيرها من اجراف دجلة قلما ينفتق مجراه ويتبطح وذلك لاجل التغير المحسوس في مهابط دجلة . فمن بغداد الى شقة بعيدة للمنحدر ترى متونا عالية وضفافا مرتفعة وارضا صلبة وهذه هي دجلة بغداد التي لا شأن لها في امر البطائح ومسحها كما ذكروا ٣٠ فرسخا ودجلة البصرة هي ام البطائح ولا زالت تعور ويتبطح ماؤها ومسحها كما ذكروا ٣٠ فرسخا مبدأها عند منتهى دجلة بغداد ، ومنتهاها عند القرنة مبدأ شط العرب وهي اخاديد ومنخفضات وارض رخوة .

وهذه دجلة العوراء طالما ردمت وحصنت بالمسنيات واقيمت عليها السدود فاعيا امرها واعورت .

وشط العرب الذي ذكرناه معروف عند العراقيين ويتكون اولا من دجلة العوراء ثم من فيض البطائح ، وقد كان خورا في اول امره ويظهر انه تكون في اوائل القرن الخامس للهجرة او قبله فقد جاء ذكره في رحلة ناصر الدين العلوي من كبار ادباء الفرس وهو من رجال القرن الخامس للهجرة .

وكانت دجلة تستقيم من عند المذار في عهد الساسانيين وهي اليوم منقطعة من ثم ، فكان موقع البطائح في (بطن جوخى) التي كانت نهرا وكورة في سواد بغداد ، فلما تحول الماء بطلت تلك البطائح وانقطع السيب عنها فصارت صحاري ومفاوز يصيب المارة فيها سموم وقيظ شديد في ايام الصيف .

وتحولت دجلة العوراء الى ناحية واسط ومرت بين يديها وصبت في انهار ضبعة وعمود مجراها كواسد من تلك الانهار واتصلت وقتئذ بارض ميسان

وكانت تلك الشعبة تسمى نهر ميسان وهي كورة واسعة يقع بلدها الشهير ببلد ميسان بين واسط والبصرة ولم يبق اليوم من تلك البلدة إلا (مشهد العزير) وهو معمور على حالته القديمة تخدمه اليهود وتحج اليه.فميسان اذا اليوم تسمى (بلد العزير) وموقعه بين القرنة وقلعة صالح . ولما استقامت دجلة من هناك انبثق من اسفل كسكر بثق عظيم واغفل فتغلب الماء على ما كان منخفضا من الارضين وبقي ما كان مرتفعا منها فصار جآجيء واكنة للملتجئين اليها وتكونت هناك بطائح امتدت من اطلال واسط الى ظهر البصرة وهذه هي البطائح الشهيرة في التاريخ وكانت مساحتها كما جاء في الاعلاق النفيسة لابن رسته (ص٩٤) ٣٠ فرسخا في ٣٠ . في رقعة واسعة تقع بين ميسان وواسط والبصرة والجويزة .

اما تحديدها فحد منها ميسان وهي بلد العزير اليوم وحد منها دجلة بغداد ما بين جبل وفم الصلح وهي اليوم حوالي كوت الامارة ؛ وحدمنها مصب الفرات بين منازل بني اسد ومنازل بني منصور ؛ وحد منها صحراء جزيرة العرب الشمالية وتسمى اليوم الشامية . ثم وقفت دجلة عن مجراها بين يدي واسط وتفرقت الى انهار عظام .

اما عمودها فقد شق له واديا بين واسط والمذار ؛ وهو مجراه اليوم بين منازل ربيعة الامارة ؛ ومنازل طيىء بني لام.فجففت بعض بطائح واسط واصبحت بيداء وجزيرة موحشة تسمى (جزيرة الرفاعي) كما ان بطائح الحلة جفت فاصبحت جزيرة تعرف بـ (ام سترين) (١) . اجل جفت بطائح واسط ولكن لم تجف كل البطائح بل انحسر الماء عن كثير منها فظهرت كورة واسط وسقي الغراف على شكل شبه جزيرة بين وادي الفرات الاسفل ودجلة العوراء واصبح موقع البطائح اليوم ممتدا من بلد العزير الى اعلى سوق الشيوخ والخميسية عرضا ومن هناك الى القرنة وشط العرب طولا . وهذا التحديد يشمل رقعة واسعة من ذنائب الغراف وهي الامكنة الواقعة بين (البدعة) (٢) ونهر (السديناوية)(٣)

(١) كانها مثناة ستر (٢) وزان قلعة (٣) بالتصغير

ممتدة الى (الحمار) (١) مثل بطيحة الصديفة (٢) والغمرقة (٣) وام القطور (٤) والحصونة (٥) وكثير غيرها .

ولدجلة العوراء بطائح خاصة لم تختلط بسيب الفرات ؛ وهي مابين حوض العمارة وحوض الحويزة اما البطائح الناشفة شرقي الغراف وغربيه فقد اصبحت حرثا وعمارة وربما استفحل امر البطائح وغادر تلك الارضين السيب الذي صيرها في القديم بطائح . فسعة تلك البقاع وضيقها تابع لتغلب الرافدين وعدمه واثبت البلاذري في كتابه فتوح البلدان ان البطائح حدثت بعد مهاجرة النبي (ص) في عهد الملك ابرويز الفارسي الساساني وانها اتسعت عند مادخل العرب ارض العراق واشتغل الاعاجم بالحروب ؛ والذي يظهر للباحث ان البطائح حدثت قبل ذلك بكثير وان الذي حدث في عهد ابرويز مظهر من مظاهرها التي توجد في كل فترة من الزمن او هو حدوث ناحية من البطائح . (٦)

تكون البطائح واستفحالها

لا نشك ان الذي اعان على تكون البطائح عدة امور اهمها قلة العمران الزراعي في العراق واغفال امر الرافدين من التفقد والتعهد بموجب اصول الفن وذلك باختطاط الانهار اللازمة لتفريق المياه وتقليل سورتها وايجاد خزان للطاغي منها واقامة السدود وردم كل خرق يخشى خطره فان لم يكن كل هذا وقد مر عليك ان بعض مهابط دجلة والفرات واطئة وارضها رخوة فلا بد من ان تفلت المياه وتتبطح . والذي يدعم قولنا هذا ان من تصفح شان البطائح وجدها تتسع ويتفاقم خطرها زمن الارتباك وانصراف الناس الى الحروب وتعمر وتجف زمن الركود والدعة . ولقد حاول مقاومتها واصلاحها جماعة من رجال الاعمال الشهيرة .

---

(١) كجبار (٢) بالتصغير والتأنيث (٣) كانها مجوعة مؤنثة (٤) كانها جمع الانطر الذي هو الشق (٥) بالجمع والتأنيث .

(٦) البطائح قديمة العهد في العراق حتى انه لايعرف للمحققون بدء وجودها فيه . وقد وجد العلماء ذكرها في الرقم المسمارية حتى لم يبق ريب في قدمها وكان يسمونها « الاجم » (تسبب) والاقرات (بتشديد القاف) ل . ع

فقد جاء في تاريخ الكلدان ان بعض ملوكهم تعاطى اصلاح البطائح وذكر صاحب النعج القويم في ترجمة نبوخذنصر انه هو الذي احتفر النهر المعروف بنهر الملك وهو الذي حفر حوضا واسعا وترعة للماء الزائد من الفرات اي « خزانا » واقام سدودا كثيرة وجلد في احوال الساسانيين وذكر ماضيهم ان الملك قباذ وابنه انو شروان والملك ابرويز كل منهم نهض في اقامة القناطر والسدود وردع الماء بالمسنيات حتى ان الملك ابرويز صلب في يوم واحد اربعين جسارا لتساهم في شأن السدود .

وفي العهد العربي الاسلامي تعاطى كثير من الرجال هذا الاصلاح حتى اعرست البطائح في ايامهم وصارت كورة وقرى كثيرة وانفق احد الامويين وقد اقطعت له البطائح ليستغلها بعد العمارة ثلاثة ملايين درهم على سد واحد.

وفي الناشفة اليوم اثار بثوق وخروق وسدود كثيرة منها (التناهي) الواقعة في شرقي الشطرة على بعد خمس ساعات في منازل خفاجة الغراف وهو ردم على هيئة تل مستطيل اقيم على البطائح ليكون سدا في وجه الماء الطاغي من الفرات ولا نعرف الذي اقامه والعرب اليوم تسميه (تناهي) ويظهر انه اسمه القديم فقد ذكر الفيروزابادي في قاموسه ان (التناهي) سد في وجه الماء (١) وهناك محل آخر تسميه العرب (الخروق) في شمالي واسط وامامه سد في وجه الماء المنساب من دجلة وفي ظهر الناصرية وكربلا والمشتق تل في الشمال الغربي ممتد في عرض البادية مسافة خمسة كيلومترات وهو عال مرتفع وموقعه في منازل (الازيرق) سد في وجه الفرات .

والى اليوم اذا طغى الفرات يأتي سيبه فيقف عنده ، وجاء في الاعلاق النفيسة لابن رستة ان خالد بن عبدالله عامل الامويين حاول ان يسكر دجلة وانفق الاموال فلم ينجح مسعيه وسطت دجلة على البنيان والمعمور . ونقل البستاني في دائرة معارفه ج ٦ ص ٦٤٣ انه كان على دجلة العوراء سكران .

وقد يستفحل امر هذه البطائح بان تفيض دجلة والفرات معا فيضيق عنهما

(١) الموجود في نسخ القاموس المطبوعة والمخطوطة « التنهاة بالكسر : ما يرد بوجه السيل من تراب ونحوه. ل . ع

عقيقاهما فينبثق الفرات من عدة امكنة اشهرهـا واخطرها من موطن حول (المسيب) وهو مدينة وفرضة على الفرات . وعلى هذا الموضع سدة معمة تعرف بـ (ام الصخور) ثانيا من مكان في اعلى المسيب وعليه سدة كبيرة تعرف بـ(السرية) لانها انشئت في عهد سري باشا ثالثا من مكان يقع بين بلدتي السماوة والناصرية. وتخرق دجلة من محلات عديدة منها في ظهر بغداد قريبا من (عقرقوف) ومن النهر المعروف بـ(الحرية) قربا من المدائن؛ ومن النهر المعروف بـ(الحسينية) غربي (كوت الامارة) وتوجد في العراق امكنة كثيرة تسمى (خرور) من كل هذه ينسأب الماء زمن الطغيان فيستفحل امر البطائح .

وقد استفحلت في عهد كسرى قباذ بن فيروز فانبثق بثق عظيم وقـد كان هذا الملك واهنا قليل التفقد لشؤون المملكة فاغفلها حتى رجع الملك الى ابنـه انوشروان فعمل القناطر والسدود وانكشف الماء عن بعض الارضين وفي عهد الملك ابرويز زاد الفرات ودجلة معا فاقفلت الماء وحاول الملك ان يسكر فتفشل وملأ الماء على العمارة وغشي المساكن والقرى ثم رجع امر المملكة الى بعض النسوة من الفرس فخارت العزائم وبقيت الامور هملا فاتفق دخول العرب ارض العراق فانشغلت الاعاجم بالنزاع على الملك وكبرت آفة البطائح .

وفي عهد الحجاج علت الزيادة واتسعت الخروق وقدر اصلاحها فكان ثلاثة ملايين درهم فاستكثرها الوليد على بيت مال المسلمين إذ وجـده اصلاحا عاليا ولكنه بقي يحاوله فاقطع مسلمة بن عبدالملك تلك الارضين وقام بالامر على نفقته . وفي عهد الدولة المباركة كثر الطغيان واشتد في زمن وزارة آل بويه اوامارتهم واهمل امر البطائح فاتسع الخرق. وهكذا مازالت الفتوق تعاود حتى اليوم فاذا طفح الفراتان واشتد الطغيان حار الماء حتى بركب المعمور ويسف (اي يجري جريا سريعا) والعرب اليوم تسمي ذلك (موحان) لانه اصبح اخف وطأة من قبل لان المياه اشتد جريها الى الامام حيث يتكون شط العرب ولان الفلاح العراقي عاد ملما بفنون الحراثة والزراعة فهو ينتفع به اكثر من ان يتضرر منه .

وقد اثرت في البطائح السدة الجديدة التي انشئت على الهندية والجداول التي حولها : كما اثر فيها شط (الحفار) الذي كراه البريطانيون زمن حركاتهم الحربية

وذلك ليكون معينا لبواخرهم النهرية . وفي هذه السنة ١٣٤٥ (١٩٢٦ م) بذلت الحكومة العربية على شط الحفار دراهم كثيرة وسدته انعاشا لحالة الفلاح التي تضرر منه كثيرا ومن الاتفاق المحمود حدوث موحان في سنة ١٣٣٣ هـ (١٩١٥م) عام وجودي في الفراف والبطائح .

موحان

اسم مشهور عند اعراب الفراف وما حوله ويحتمل انه اخذ من قولهم (ريح الماء) والعرب هناك تطلق هذا الاسم على الماء السائب الذي يهجم عليهم وعلى قراهم ومزارعهم ويسمون عامة « سنة موحان » (١) واخر زياداته على تلك البقاع كان سنة ١٣٣٣ عام العزاهز العامة فقد طغى ماء دجلة وامتلأ عقيقها حتى ضاق وفاض فجرف السدود وهجم على المسنيات والعمارة ففرقت دار السلام ببغداد وانفتقت دجلة من الجانب الغربي وركبت كل منخفض وتدافعت تلولا من الامواج في وسط البادية ومد الماء على عرض ٢٠ كيلومترا فاخذ الجزيرة الفارغة التي بين فرات الحلة والفراف وهي امكنة بطائح في القديم ولها ماض زاهر زمن الحضارة العباسية وفيها اثار كثيرة وربما اتفق لسيب دجلة ان يختلط في هذه الاماكن بسيب الفرات فيميلان معا الى سقي الفراف .

ويظهر انه في القديم كان موحان يجعل ارض الفراف كلها بطيحة واحدة ولا يترك إلا التلال ولاجل ذلك تجد ابن الاثير وغيره من المؤرخين لا يذكرون الفراف باسم نهر او سقي بل يذكرون بطيحة الفراف اما الآن وقد ارتفعت تلك البقاع بواسطة الحرث او الزرع الذي يعلي وجه الارض بتطاول الايام صار الكثير من مدالك الفراف ومزارعه في منعة وسلامة على ان الاضرار التي تحصل منه اليوم ليست بالقليل الهين وينتفع موحان هذا الى ان ينصب في الفرات الاسفل قريبا من بلاد الناصرية ولا ينتفع جزيره توا اليها بل تعترضه في كل مخابطه حياض واسعة وبطائح جافة يصب في كل منها مدة ايام حتى تمتلىء

(١) الذي عندنا ان اللوح كما يقول ابناء الزوراء والموحان كما ينطق به اهل تلك الارجاء هي رواية في اللوح ومعناها السيل الفاجيء او التزيز في الارمية وسكان دار السلام يسمون الموحان الدفرة وهي تصحيف الدفقة . ل . ع

ويهبط الماء الى غيرها وفي هذا الدور الموحش بين فرات الحلة والغراف عدة بطائح ناشفة يعرفها الاعراب باسمائها فاذا تذاكروا في مهابط موحان عدوها واحدة واحدة باسم هورة كذا وهورة كذا فمن مهابطه :

(مسماة) [وقد تبدل الميم الاولى بالياء فيقال يسماة] وهي تل جالس في سهل واسع كبير فيه جنور مزارع قديمة واثار انهار .

ومنها (ام الدور) بطيحة جافة فيها اثار الالواح (اي الديار) وخطط سواق وروامس .

ومنها (ابو الفروق) هور كبير جاف .

ومنها (طرخومة) وهي سهل متسع .

ومنها (الظاهر) في الشمال الغربي من الشطرة على بعد ١٣ ساعة وهي بادية مقفرة كبيرة في الطول والعرض وفيها تلان متلاصقان تسميهما الاعراب (القصور العباسية) وعلى مقربة منها تل عال مستطيل ومن ورائه رواق عليه قبة بيضاء تسميه الاعراب (الظاهر) وبين تلالي والرواق اثار نهر يابس تسميه الاعراب بـ (شط العتق) وقد سالت عنه بعض العارفين من الشيوخ فقال انه احد (النيليات) وهي جداول كانت تتشعب من شط النيل الشهير الذي طهره وكراه الحجاج ، وهناك كثير من كسر الطابوق ورضوض الآجر والقاشاني المحرق واطلال بالية وسحيق خزف فيظهر جليا ان التلال اخربة بلاد كانت هناك .

ومنها (جوخى) وهي الان بطيحة جافة وفيها تلال وآكام بلاد (أما) الشمرية الشهيرة في التاريخ القديم .

ومنها (ابو جوبري) وهو اقطاعية في منازل بني ركاب يزرع فيها الوف من التناء والاكرة ومنها يبدأ موحان باكتساح مزارع الغراف ومساكنه فيجرف ما امامه حتى ينتهي الى البطائح المصاقبة للفرات الاسفل الآخذة منه مثل (هور الدكة) و (هور ابي قداحة) فيصب مجموع تلك الاسيلاب في فرات الناصرية .

هذه هي مهابط موحان او بعضها ولقد شاهدته ينحط على منازل الاعراب واكواخ الفلاحين بجري واندفاع هائل وكان على ارتفاع مترين تقريبا ولما

موج عجاج وما كان باستطاعتهم انقاذ الاثاث والامتعة بل فروا في وجه الطاغي واووا الى التلعات وجعلوا يتصيدون او يلتقطون مهمات بيوتهم الطافية على وجه الماء .

وهناك امكنة مرتفعة ضيقة يمكن ان تقام السدود عليها في وجه هذا العاجم ولا يراد بها صده بعد الصد لان ذلك ليس لهم بالمستطاع . ولكن تحويل مجراه الى الاودية الفارغة من الزرع او تعويق جريه حتى ينضج الزرع ويتم نموه . الا ان اولئك الاعراب لايحسنون اتقان السدود والسكور فتجيء ناقصة ويخفق كدهم فيها وقد وقفت على ردم اشتغل فيه مئات من الفلاحين الكدو وقد بذلوا فيه طاقتهم فجاء في ١٣ كيلومترا وارتفاع ٣ امتار وعرض مترين وكان قويا محكما جاء الماء حتى وقف عنده لايقدر على ازاحته ؛ ولكن عصفت ذات ليلة زوعزع شديدة صادف مهبها مع مجرى الماء فاجتمع على الردم قوة الماء وقوة الهواء ولم تمكن المقاومة فانفتق ١٥٠ فتقا في وقت واحد وهجم الماء فالتهم القرى والمنازل واغرق الزرع البالغ . وللغرافيين زمن استفحال البطائح حال مزعزعة واضطراب مستمر تسمع اصوات حرسهم طول الليل وهم تحت سخط البرد القارس عكفا ساهرين على افواه الجداول وضفاف المياه وترى بلادهم وقراهم مطوقة بالمياه المتفلتة وهم يقيمون السدود على افواه الشوارع والازقة .

هذه كلمتي في تكون البطائح واستفحالها . ولقد اعان على تكوين البطائح النزاعات الحربية واضطراب حبل الامن هناك في كل فسحة من الزمن واذا وقفت حق الوقوف على السبب المكون للبطائح خلال الايام والسنين تعرف ان حالتها غير واحدة وان ماضيها غير بين ولا يخلو من ابهام وظلمة .

النجف علي الشرقي

﴿ طبع كتاب الجمهرة لابن دريد ﴾

اخذت بطبع كتاب الجمهرة لابن دريد في حيدر اباد الدكن وقد وصلني نموذج منه في ٥٢ صفحة من القطع الكبير ، ولما كانت الحروف المشكلة قليلة القدر في تلك المطبعة فابراز ذلك المعجم بحلته الموشاة يطول كثيرا .

من بكنهام (انكلترة) ف كرنكو